"القرآن الكريم ودوره في إنجاح المسيرة الخضراء باعتباره رمزا للسلم والتسامح: نظرة في الدلالات واعتبار للمآلات"

The holy Qoran and its role in the success of the green march as a symbol of peace and tolerance-

مولاي إسماعيل الناجي

جامعة ابن زهر

dr.moulay.ismail.naji@gmail.com

ملخص:

إن القرآن الكريم باعتباره دستور الأحكام، فهو يشكل رمزا لأمة الإسلام، كما تضمن كثيرا من المصطلحات التي تكتنز بحرا من المعاني التي تخدم مصالح المجتمع الإسلامي وتقنن قواعد تكوين مجتمع متماسك، ومن ذلك مصطلح "السلم" الذي عليه مدار كثير من الأحكام، بل بوصفه رمزا ذا قيمة عند المسلمين، صنع الحدث في مواقف مختلفة وملاحم(غزوات) كبرى كفتح مكة ومعركة صِفِّين، وفي العصر الحديث المسيرة الخضراء. فما هي حمولاته الدلالية والمعرفية؟، وما هي أبعاده الاجتماعية والثقافية في السلم والحرب؟

الكلمات المفتاحية : رمزية القرآن الكريم، السلم، التسامح، الصلح، المسيرة الخضراء.

Summary

The holy Qoran as a constitution provisions, is a symbol of the Islamic notion, it includes plenty of trems that contain several meanings. The se meanings serve the interests of the islamic society and set rules to construct a cohesive and united community. Such as the term *peace* around wrich many provisions were set. This term had great inpact in different situations and epics (forays) such as the conquest of Mecc a, battle of SSiffine, and the green march in the modern era.

So, what are its semantic and cognitive implications? And what are its social and cultural dimensions in peace and war?

Key words: The symbolism of the Holy Qur'an, the ladder, tolerance, sulh, Green March..

مقدمة:

الحمد لله رب الأنام، الذي أكمل لنا دين الإسلام، والصلاة على خير مبعوث بالرحمة والسلام، عليه أفضل الزكاة وأحلى سلام، وعلى آله الطيبين الأطهار الأحلام، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبت السنون والأيام.

وبعد، فإن الله عز شأنا، أنزل القرآن الكريم دستورا للأنام، ونَظَم حياتهم بجملة من الأحكام، وجعل للتسامح شعارهم السلام، تحية لأهل الإسلام.

إن إنعام النظر في رمزية موارد القرآن الكريم، للسلم والسلام، ودلالاته على التسامح، واتخاذه شعارا في كثير من الملاحم عبر التاريخ الإسلامي، تجعلنا نقف على المعاني الراقية للمصحف الكريم، التي لعبت دورها في النفوس على الوجه الأتم.

ولم أبغ في هذا البحث أن أدرس السلم والتسامح وفق منهج الدراسة المصطلحية، وإنما توسطت بينها والدراسة المعجمية، مستجلبا لمعانيهما الغزيرة، والتي يتضمنها القرآن والمصحف كرمز من الرموز، ويختزلها في كيانه بين دفتيه.

ومن نَحْوٍ آخر، فَتَضَمُّنُ المصحف الشريف للسلم واشتقاقاته وضمائِمه، التي تنسج علاقات مفاهيمية مع المصطلح الأم، أي الأصل، مؤذن بدلالة المصحف الشريف على السلم نفسه، مما جعله رمزا لهذا المعنى الراقي الذي جاء به الإسلام. والذي تستقيم به الحياة على الطريقة المثلى، وتنتفي أسباب التهارج لِتَحُلَّ محلها الحياة الفضلى.

وقد اخترت عنوان هذه الدراسة: "**القرآن الكريم ودوره في إنجاح المسيرة الخضراء باعتباره رمزا للسلم والتسامح: نظرة في الدلالات واعتبار للمآلات**"

ويُوجِب هذا العنوان أن أتحدث في المبحث الأول عن القرآن الكريم باعتباره رمزا للسلم في القرآن الكريم، من خلال بيان مراجعه اللغوية، ودلالاته المعنوية، وضمائمه المفاهيمية، مع الإلماع إلى علائقه الناظم لها العقد الرفيع لمعنى الأصل الدلالي والفرع الاشتقاقي وهو الذي يختزل لنا قيم العفو والتسامح، يقول الله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[1]

هذا في جانب التأصيل، أما فيما يتعلق بالتنزيل فهو قطب رحى المبحث الثاني: الذي سأوضح فيه رمزية القرآن الكريم إلى السلم، وسأضرب مثالين اثنين فقط:

– أولهما رمزية المصحف في إحلال السلم في معركة صفين بين فئتين من المسلمين، فئتينعظيميتن بِعِظم الصحابة الكرام يرأسهما كل من علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، هؤلاء الصحابة الذين توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، وأمرنا باتباع خلفائه الراشدين. تنزيلا لقول الله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[2]

والمثال الثاني: هو رمزية المصحف الكريم في المسيرة الخضراء المظفرة، التي رمز فيها لسلمية المسيرة وتسامح المتطوعين فيما بينهم، ووقاية من الحرب بين المسلمين وغيرهم من بني الإنسان

فإن أَكُ حليف الصواب فبنعمة من الله تعالى ومَنِّ المنَّان، وإن كانت الأخرى فمن تقصيري ومن الشيطان. فأقول بتوفيق الله عز وجل:

المبحث الأول: القرآن الكريم ورمزيته للسلم والتسامح

إن القرآن الكريم تضمن كثيرا من الآيات التي ترمز إلى السلم، الذي هو نتيجة التسامح، في مواضع كثيرة، مما جعله رمزا لهاتين القيمتين، وسنقف على بعض من ذلك استجلاء لهذه المعاني.

وقبل ذلك سنتعرف على دلالة لفظ السلم في المعاجم العربية.

المطلب الأول: السلم

أولا: في المعجم العربي

يطلق السلم في الاستعمال العرب ويراد به معان مختلفة، تحددها سياقاته واشتقاقاته، ومما جاء منها في معاجم اللغة ما يلي[3]:

سلم: السَّلمُ: دلوٌ مُستْطيلٌ له عُروةٌ واحدةٌ، وجمعُه: سِلام.

والسَّلمُ: لَدْغُ الحية. والملدوغ يُقالُ له: مَسْلُوم، وسَليم. وسُمِّيَ به تطيُّراً [من اللديغ]، لأنّه يقال: سلّمه الله. ورجلٌ سليم، أي: سالم، وقد سَلِمَ سلامةً. والسِّلام: الحِجارة، لم يسمع واحدها، ولا سمع أحداً يُفْرِدُها، وربّما أُنِّثَ على معنى الجَماعة، وربّما ذُكِّر، وقيل: واحدته: سَلِمةٌ، قال: زمن الفِطَحْل إذِ السِّلامُ رِطابُ .

والسَّلام: ضَرْبٌ من دِقِّ الشّجر، والسَّلام يكون بمعنَى السَّلامة، وقول النّاس: السَّلام عليكم، أي: السَّلامةُ من اللهِ عَلَيْكم. وهو اسمٌ من أسماءِ اللهِ، والسَّلامُ هو اللهُ، فإذا قيل: السَّلامُ عليكم [فكأنّه] يقول: اللهُ فوقكم. والسُّلامَى: عظام الأَصابع والأشاجع والأَكارع، وهي كَعابِرُ كأنّها كِعاب، والجميع: السلاميات.

والسَّلَمُ: ضرب من الشجر، الواحدة بالهاء، ووَرَقُه: القَرَظ،يُدْبَغُ به، ويقال للمدبوغ بالقَرَظِ: مَقْرُوظ، وبقشرِ السَّلَم: مسلوم. والإسلام: الاستسلامُ لأمر اللهِ تَعالَى، وهو الانقيادُ لطاعتِهِ، والقَبُولُ لأَمره. والاسْتِلام للحَجَر: تَناوُلُه باليَد، وبالقُبْلة، ومَسْحُهُ بالكَفّ. ويُقالُ: أخذه سَلَماً، أي: أسره. والسَّلَم: ما أسلفت به. وقوله عزّ اسمه: {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}[4]. يُقال: هي السُّلَّم، وهو السُّلَّم، أي: السَّبَبُ والمِرْقاةُ، والجميعُ: السَّلاليم. والسَّلْمُ: ضِدُّ الحَرْب، ويقال: السَّلْمُ والسِّلْم واحد.

إن السِلم والسَلْم والسَّلَم كلمات مشتقة من كلمة السِلم أي التعري من الآفات الظاهرة والباطنة كما قال الأصفهاني. ومنه قول الله تعالى: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[5] ، أي: متعر من الدغل، فهذا في الباطن، وأما في الظاهر فمنه قوله

تعالى: { مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ}[6] [البقرة: 71]، وقوله سبحانه: { وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ}[7] وقال :{ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ}[8] ، أي: سلامة، وكذا قوله :{قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ}[9].

هكذا يظهر لنا أن كل كلمة مما سبق وردت في سياق يختلف عن سياق الأخرى، مما جعل معانيها متابينة.

ثانيا: السلم في القرآن الكريم

وردت كلمة السلم في القرآن الكريم، في سياقات مختلفة، نذكر منها المواضع السبعة، وهي:

-قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}[10].

-وقوله أيضا: {إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا}[11].

-وقوله أيضا: {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا}[12].

-وقوله أيضا: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[13].

-وقوله أيضا: {وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[14].

-وقوله أيضا: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}[15].

-وقوله أيضا: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [16].

معاني كلمة السلم في القرآن الكريم:

لو تأملنا هذه الكلمات في القرآن لوجدنا أن لكل واحدة معنى خاصا بها حسب السياق الخاص بها. فالسِلم والسَلْم والسَلَم ألفاظ متجانسة في الشكل والحروف وأحيانا حتى في الحركات، لكن هذا لا يقتضي أن تكون بمعنى واحد، بل معانيها مختلفة.

فالسِّلم دل في الآية الأولى على الدين، أي الإسلام.

أما السَّلَمَ جاء في الآية الثانية الاستسلام والانقياد للصُّلح.

في حين دل فعل أسلما في سورة الصافات على أن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، قد انقادا لأمر الله وارتضياه، ودانا بالإسلام.

وفي الأخير جاء السَّلم في سورة الأنفال بمعنى المسالمة والمصالحة.

فما الفرق بين السِلم والسَلْم والسَّلَم؟

1-كلمة السِلم: وردت هذه الكلمة في القرآن مرة واحدة في الآية 208 من سورة البقرة المذكورة آنفا، والمقصود بهذه الكلمة هنا ليس السلام والمصالحة بل المقصود هو ادخلوا في دين الإسلام، وعبر عنه بالسلام، لأن الامتثال لأحكام الدين الإسلامي هو الذي سيؤدي إلى السلام وكما قال الله تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[17] ، وقال أيضا: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ}[18]. والسلام يؤدي إلى الاطمئنان والسكينة وراحة البال، وفاقا لقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[19]

2-كلمة السَّلْم: السَّلْم هو عندما يجنح أحد فريقي الحرب إلى الاستسلام، إذن السَلْم هو الميل إلى الاستسلام وقد ورد بهذا المعنى في القرآن مرتين، يؤكده أنهما وردا في سياق القتال بين المسلمين والأعداء، الأولى في قوله تعالى {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[20] ، فهذه تأمر المسلمين بقبول السلم إذا دعا إليه العدو.

أما المرة الثانية في قوله سبحانه: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}[21] ، حيث تنهى الآية المسلمين عن السَلْم. وفي الحقيقة فهي تنهى عن المبادرة إلى عرض الاستسلام وتعليل ذلك بعلو شأنهم، وعدم نقص أعمالهم، وأنهم مأجورون، قتلوا أو قُتلوا.. وبالرجوع إلى سياق الآية، نجد في سباقها: قول الله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}[22] ، بينما نجد في لحاقها: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}[23].

فكلا الآيتين تشير إلى قوة المسلمين وعزتهم وعدم استسلامهم وعدم الضعف والهوان وإنما هو استسلام الأعداء. إذن السِلم أي الإسلام والسَلْم هو الميل للاستسلام وطلب الكفار المقاتلين الاستسلام في الحرب.

3- كلمة السّلَم: وردت في القرآن خمس مرات مرتان في سياق الحرب بين المسلمين والكفار في سورة النساء. في الآية الأولى تحدث عن استسلام الكفار للمسلمين استسلاماً عملياً تاماً فان حدث واستسلموا لكم أيها المؤمنون فلا يحق لكم أن تقاتلوهم وإنما عليكم الكفّ عنهم: {إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا}[24] ، قوم لا يريدون القتال فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَلَم فلا يحق لكم قتلهم بعد استسلامهم التام وإنما إقبلوا استسلامهم.

الآية الثانية: تقرر أن الكفار إذا لم يستسلموا للمسلمين فعلى المسلمين قتالهم أينما كانوا: {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا}[25]. فهم يدّعون بلسانهم أنهم يريدون السلام ولكنهم لا يفعلون ذلك عملياً لذلك على المسلمين قتلهم (فخذوهم واقتلوهم). إذن هو استسلام الكفار الذليل بين يدي المسلمين. كما تستخدم هذه الكلمة بمعنى استسلام الكفار الذليل يوم القيامة وإلقائهم اللوم على شركائهم الذين أضلوهم

واستسلام الكفار للملائكة عند الاحتضار: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[26] ، استسلموا للملائكة وللموت.

والآية الثانية تتحدث عن استسلام الكفار الذليل يوم القيامة: {وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[27]، إذن نلاحظ في التعبير عن السَلَم استخدام تعبير "ألقوا السَلَم" من الإلقاء وهو المبالغة في الاستسلام.

والمرة الخامسة التي استُخدمت فيها الكلمة يتحدث عمن يخضع لغير الله ويتلقى معلومات متناقضة من شركاء وبين من يتلقى أوامره من الله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[28] ، يضرب المثل لمن يعبد آلهة متعددة ومن يعبد الله وحده ويأخذ أوامره من الله وحده دون غيره فيبين الله الفرق بين الاثنين. إذن المسلم إنسان سلّم نفسه لله ودخل في السِلم أي الإسلام كافة شاملاً والناس كلهم مأمورون بالدخول فيه، والسَلْم هو الميل إلى الاستسلام وترك القتال وهي دعوة ليست للمؤمن وإنما للكفار ولا يجوز للمسلمين الدعوة إلى السَلْم، والسَلَم أي الاستسلام: استسلام لله، للملائكة أو للمسلمين في خضوع كامل فلا يجوز للمسلمين الجنوح للسِلم إلا في حالة عزة فقط فإذا كنا ضعافاً نسلّم الراية للجيل الذي بعدنا ولا نستسلم اليوم .

المطلب الثاني: التسامح

أولا: التسامح في اللغة

مصدر فعل تسامح على وزن تفاعل، والمجرد منه سمح سَمحا وسماحا وسماحة بمعنى لَان وَسَهل، يُقَال: سمح الْعود اسْتَوَى وتجرد من العقد وإنقاذ بعد استصعاب .

وتسَامح فِي كَذَا أي تساهل[29].

ثانيا: التسامح في القرآن

إن السلم الذي وقفنا عليه فيما سبق ما هو في الحقيقة إلا نتيجة للتسامح الذي قرره القرآن في نفوس المسلمين، ورباهم عليه، وطبَّعهم عليه. وإن لم يرد لفظا إلا أن معانيه متضمنة في ألفاظ أخرى كـ: العفو والإعراض، الرحمة، الاستغفار، الإيثار، الصفح...

ومن جملة ذلك قول الله تعالى : {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}[30].

وقوله سبحانه:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[31].

وقوله أيضا: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[32]

وقال عز شأنا: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[33]، ولن نستعرض جميع الآي القرآنية، فهناك ما ينيف عن مائة آية في المصحف الكريم، تدل على قيم التسامح ونبذ الكراهية.

وليس هذا فقط بين المسلمين فقط، بل حتى أصحاب الديانات الأخرى، بل نهى الله عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى، يقول الله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[34].

ويقول أيضا في شأن اليهود والنصارى والصابئين: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[35]، ويقول أيضا: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[36]

ويتسامح في الدعوة، فلا يكره أحدا على الدين الإسلامي، وإنام يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، يقول الله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[37]

ومن مظاهر التسامح عدم التعصب لنبي، يقول الله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[38].

هكذا كان القرآن رمزا لقيمتي السلم والتسامح، وتجسدت مظاهر ذلك في التاريخ الإسلامي، وهذا ما سنقف عليه في المبحث الموالي.

من خلال نموذجين فريدين: الأول القرآن الكريم ودوره في تحقيق السلم والتسامح بين فئتين مسلمتين.

والثاني: القرآن الكريم ودوره في تحقيق السلم والتسامح بين فئتين إحداهما مسلمة يمثلها المغرب، وأخرى كافرة يمثلها الإسبان.

بعد استعراض قيمتي السلم والتسامح في القرآن الكريم نعرض فيما يلي مظاهر رمزية القرآن ودلالته عليهما، وهذا محور الكلام في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: رمزية القرآن (المصحف) في تحقيق السلم والصلح

المطلب الأول: المصحف رمز لحكم الله تعالى وإنهاء الحرب بين المسلمين فيما بينهم

إن قاطرة البحث عن دور المصحف باعتباره رمزا في صفحات التاريخ الإسلامي المشرقة تُوقفنا عند محطة عصيبة من محطاته، ألا وهي واقعة صِفِّيْن[39] التي وقعت سنة 36هـ وانتهت 37هـ، التي دارت بدائرة على المسلمين، بين فئتين: فئة تحت إمرة علي بن أبي طالب، وفئة أخرى يتزعمها معاوية بن أبي سفيان.

ولسنا بصدد النقد التاريخي لأسباب هذه الواقعة أو نتائجها، فهنا ليس محله ، وقد ألفت في حقيقته كتب[40] فلا نخرج بذكره عن مقصود هذه الورقة.

وإنما يهمنا منها أنه في واقعة صفين كاد أن ينشب القتال على الماء بين الفريقين، أو نشب في روايات أخرى ضعيفة، فتصالحوا على عدم منع الماء عن كل فريق، وكان القتال يكون على شكل كتائب وليس بكامل الجيش ليلة الهرير، لخُلّتين:

-**أولاهما**: الطمع في الصلح، وهو التسامح المنشود بين الإخوة المفتونين. تصان به أرواح المسلمين.

-**ثانيهما**: خشية الهلاك والاستئصال فيطمع فيهم عدوهم الحقيقي.

لكن بعد ذلك اشتد القتال في ليلة الهرير وبلغت مبالغة لا مثيل لها، خطب الأشعث بن قيس زعيم كندة في أصحابه قائلا لهم: "قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ، فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن توافقنا، غدا إنه لفَناء العرب وضياع، الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعا من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النساء والذراري غدا، إذا نحن فَنَيْنا، اللهم إنك تعلم أني قد كنت نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آلُ"[41].

وبلغ ذلك معاوية فقال: "أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدا لتَميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهى [ثم قال لأصحابه:] اربطوا المصاحف على أطراف القنا"[42]، أي على الرماح.

وهذه الرواية أقرب إلى ما يليق بمقام الصحابة، عكس تلك الروايات المنحولة تلطخ سمعتهم[43]، كتصوير عمرو بن العاص في صورة الداهية المحتال.

وليس ببعيد أن يتفطن أحد أو أكثر من أهل الحجى ويجنح للسلم ويجنح الطرف الآخر، وهذا ما وقع بالفعل، فلما رفعت المصاحف على أسنة الرماح فعلت رمزية المصحف فعلتها، وتداعت النفوس إلى السلم والتسامح فيما كان، ورضوا بتحكيم كتاب الله وعقد الصلح، وتضافرت على ذلك عدة عوامل سبق أن أشرنا إلى بعضها، وهو إيقاف نزيف الدماء وحقنها، وخوف الفناء، والملل من توالي أيام الحرب.

لكن العامل الأساس، وهو امتثالهم للأمر الإلهي في كثير من الآيات، منها قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}[44].

وكذلك خوفهم من أن ينطبق عليهم قول الحق سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ}[45].

هكذا أسهم القرآن الكريم، في إيقاف أكبر فتنة بين المسلمين وصون شوكتهم، والحفاظ على وحدتهم.

ولننظر إلى الجانب المشرق من هذه المعركة التي تؤكد على قيم السلم والتسامح، أن الجنود من الفريقين جميعا كانوا يعاملون بعضهم معاملة كريمة، فكانوا يذهبون معا إلى الماء، ويستسقون جميعا ويزدحمون وما يؤذي إنسان إنسانا، وهم إخوة يعيشون معا عندما يتوقف القتال، وهذا أحد المشاركين يقول: "كنا إذا توادعنا من القتال، دخل هؤلاء في معسكر هؤلاء، وهؤلاء في معسكر هؤلاء، وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم"[46].

المطلب الثاني: المصحف رمز للسلم واتقاء الحرب بين المسلمين وغيرهم: المسيرة الخضراء نموذجا

إن خطاب المغفور له الحسن الثاني يوم 16 /1975/10 الذي أعلن فيه عن تنظيم المسير الخضراء، جسد روح السلم والتسامح في أبهى صورهما.

فصرح بأنه لا يريد الحرب، تريق الدماء وتذهب بالأرواح، واعتبر ذلك تناقضا مع السلم عن طريق محكمة لاهاي.

واعتبر أن الحل الوحيد هو القيام بمسيرة خضراء سلمية تصل الرحم، ويظهر فيها التسامح في أجلى مظاهره، من خلال 350000 نسمة، وكان اختيار الملك الحسن الثاني لعدد المشاركين المغاربة يساوي عدد الولادات بالمغرب في تلك الفترة.، منهم 10/°° من النساء، أي 35000 امرأة، وقد كان المتطوعون مختلفي الأعراق، متباييني اللهجات، لا يوحدهم إلا القرآن الكريم.

وإضافة إلى التسامح الوطني الذي جسده المغاربة، تجسد في هذه المسيرة التسامح على مستوى دولي أيضا، حيث شاركت أيضا فيها وفود كل من المملكة العربية السعودية، والأردن، وقطر، والإمارات، وسلطنة عمان، والسودان، والغابون والسنغال، والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

لقد كانوا مجردين من السلاح لحرب إسبانيا، إلا من المصحف، ولقد صدر أمر بصنع [الخامسات][47] بحيث يحملها المتطوعون رجالا ونساء، وإن لم يكونوا على طهارة كبرى كما صرح بذلك في خطابه.

فكانت أكبر مسيرة سلمية في التاريخ مكنت من تحرير الأقاليم الجنوبية للمملكة.رصدت لها عشر قطارات يوميا، ومن مراكش إلى الجنوب السيارات والشاحنات، مدة 15 يوما بدون تزاحم أو خصام.

هذه المسيرة السلمية وضعت حدا لما يناهز ثلاثة أرباع قرن من الاستعمار والاحتلال المرير لهذه الأقاليم ومكنت المغرب من تحقيق واستكمال الجزء الأكبر من وحدته الترابية.

المسيرة الخضراء، رمز للسلام، لأن اللون الأخضر هو رمز للسلام، رمز للعطاء، رمز للتلاقح، رمز للتسامح.

وقد نوه كثير من الباحثين الاجتماعيين بالمسيرة الخضراء، واعتبروها فعلا اجتماعيا وسيكولوجياً متميزا منقطع النظير.

وبعد نجاح المسيرة الخضراء على المستوى الشعبي والإقليمي والعالمي، اضطر الإسبان إلى العدول عن موقفهم المناوئ للمغرب والبحث عن حل لمشكلة الصحراء، فبدأت المفاوضات مع المغرب.

وقد ورد في كتاب ''ذاكرة ملك''، أن الصحفي الفرنسي إريك لوران سأل الملك الحسن الثاني، في أي وقت بالضبط قررتم وقف المسيرة الخضراء؟ فأجاب جلالته: ''في الوقت الذي أدركت فيه جميع الأطراف المعنية أنه يستحسن أن تحل الدبلوماسية محل الوجود بالصحراء''.

وفي 9 نونبر 1975، أعلن الملك الحسن الثاني أن المسيرة الخضراء حققت المرجو منها وطلب من المشاركين في المسيرة الرجوع إلى نقطة الانطلاق أي مدينة طرفاية.

هكذا حققت المسيرة الخضراء أهدافها بسلميتها، وبسلاح القرآن الذي قهر كل أسلحة الحرب، وأخضع إسبانيا لقبول المفاوضات والوصول إلى اتفاقية مدريد الموقعة يوم 14 نوفمبر 1975، وهي الاتفاقية التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، والتي بموجبها دخل المغرب إلى العيون سلميا، وانسحاب الإدارة الإسبانية من المنطقة يوم 26 فبراير 1976 قبل يومين من الموعد المحدد في اتفاقية مدريد الذي كان 28 فبراير 1976.

الخاتمة :

من خلال ما سبق الإشارة إليه و على ضوء ما تم تناوله في هذه الورقة البحثية تجلى لنا بصفة عظيمة مدى الرمزية الدينية التي يتضمنها القرآن الكريم في أحكامه، هاته الرمزية التي تبرز لنا في عدة مفاهيم كالسلم و الصلح و التسامح، و التي أخذت عدة صورا كإنهاء القتال بين المسلمين فيما بينهم، أو اتقائها بين المسلمين و غيرهم، هذا الأخير الذي وضحناه من خلال اعتماد المسيرة الخضراء كأنموذجا و مثالا لذلك.

إن تجليات مفاهيم السلم و التسامح في القرآن الكريم لأكبر دليل على كونه دستور لجميع الأحكام التي سايرت و تساير ماضي و حاضر و مستقبل الأمة الإسلامية، فهو رمز يهتدى به و يعتمد عليه في الحفاظ على مختلف مصالح المجتمع الإسلامي.

الهوامش:

1- فصلت : 34.

2- الحجرات : 9.

3- ينظر العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، المحقق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت: باب السين واللام والميم معهما، مادة سلم.

4- الطور: 38.

5- الشعراء: 89

6- البقرة : 71.

7- الأنفال: 43

8- الحجر: 46.

9- هود : 48.

10- البقرة: 208.

11- النساء : 90.

12- النساء: 91.

13- النحل : 28.

14- النحل:87.

15- الصافات: 103.

16- محمد : 35.

17- يونس : 25.

18- المائدة : 15

19- الرعد : 28.

20- الأنفال: 61.

21- محمد : 35.

22- الأنفال: جزء من الآية 60.

23- الأنفال: جزء من الآية 65.

24- النساء: 90.

25- النساء : 91.

26- النحل : 28.

27- النحل : 87.

28- الزمر: 29.

29- لسان العرب: ابن منظور، مادة سمح.

30- الفرقان : .63

31- الأعراف : 199.

32- آل عمران: .159

33- النور: 22.

34- العنكبوت: 46.

35- البقرة : 62

36- الحج : 17.

37- البقرة: 256.

38- البقرة: 136.

39- صِفّينُ: بكسرتين وتشديد الفاء، وحالها في الإعراب حال صريفين، وقد ذكرت في هذا الباب أنها تعرب إعراب الجموع وإعراب ما لا ينصرف، وقيل لأبي وائل شقيق بن سلمة: أشهدت صفّين؟ فقال: نعم وبئست الصّفّون: وهو موضع بقرب الرّقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرّقّة وبالس، وكانت وقعة صفّين بين عليّ، رضي الله عنه، ومعاوية في سنة 37 في غرّة صفر [معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م].

40- حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم: الدكتور علي محمد الصلابي، مكتبة الإيمان المنصورة، ط1، 1428هـ/2007م.

-وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهر، 1382هـ.

- تحقيق مواقف الصحافة في الفتن من روايات الطبري والمحدثين: محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر-الرياض، ط1، 1415هـ/1994م.

-خلافة علي بن أبي طالب: عبد الحميد علي ناصر فقيهي، رسالة نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحت إشراف الدكتور أكرم ضياء العمري.

-"الفتنة الكبرى: علي وبنوه"، طه حسين، دار المعارف-مصر، 1966م.

41- ينظر: وقعة صفين: 489. ، وحقيقة الخلاف بين الصحابة: 136.

42- ينظر: وقعة صفين: 881. ، وحقيقة الخلاف بين الصحابة: 136.

43- وقد أنكر كثير من المحققين هذه الروايات منهم ابن العربي، يقول: "وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه [المقصود أبو موسى الأشعري] كان أبله ضعيف الرأي، مخدوعا في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأدب حتى ضربت الأمثال بدهائه، تأكيدا لما أرادت من الفساد، وتبع في ذلك بعض الجهال بعضا، وصنعوا فيه حكايات. وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى... هذا كله كذب صراح، ما جرى منه قط حرف، وإنما هو شيء اخترعته المبتدعة، ووضعته التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع" [العواصم من القواصم: القاصي أبو بكر ابن العربي، تحقيق عمار طالبي، دار التراث-القاهرة، ط1، 1997/1417: 311-312].وابن كثير أيضا ينكر التفصيلات الكثيرة التي جاءت في رواية أبي مخنف ونصر بن مزاحم بخصوص المراسلات بين الطرفين، يقول: "ثم ذكر أهل السير كلاما طويلا جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر..." [البداية والنهاية: أبو الفداء الحافظ ابن كثيرالدمشقي، دار الريان، 1998م. 269/7].

44- النساء : 59.

45- آل عمران : 23.

46- ينظر تاريخ الطبري: دار الفكر-بيروت، ط1، 1987/1407: 610/5، وسير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، 1999: 41/2.

47- أي أجزاء كل جزء فيه خمسة أحزاب.

قائمة المصادر والمراجع

1. -القرآن الكريم.
2. -البداية والنهاية: أبو الفداء الحافظ ابن كثيرالدمشقي، دار الريان، 1998م.
3. -السلام في القرآن، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير – يوسف بن سعيد عطوة.
4. -السلم في القرآن والسنة مرتكزاتها ووسائل حمايته - عبد الهادي الخمليشي، دار ابن حزم، 2008.
5. -العواصم من القواصم: القاصي أبو بكر ابن العربي، تحقيق عمار طالبي، دار التراث-القاهرة، ط1، 1997/1417.

6. -العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت.
7. -الفتنة الكبرى: علي وبنوه، طه حسين، دار المعارف-مصر، 1966م.
8. -تاريخ الطبري: دار الفكر-بيروت، ط1، 1987/1407.
9. -تحقيق مواقف الصحافة في الفتن من روايات الطبري والمحدثين: محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر-الرياض، ط1، 1415هـ/1994م.
10. -حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم: الدكتور علي محمد الصلابي، مكتبة الإيمان المنصورة، ط1، 1428هـ/2007م.
11. -خلافة علي بن أبي طالب: عبد الحميد علي ناصر فقيهي، رسالة نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تحت إشراف الدكتور أكرم ضياء العمري.
12. -سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، 1999.
13. -معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م.
14. -وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهر، 1382هـ.